

قبسات من حياة الزهراء عليها السلام

محفوظ جميع الحقوق

الطبعة الثانية

٢٠٠٦ - ١٤٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، واللعن الدائم على
أعداءهم أجمعين إلى قيام يوم الدين ، وبعد :

فهذه لمعةٌ يسيرةٌ من حياة الصديقة الطاهرة الزهراء البتول ،
عليها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، جمعتها بمناسبة المولد
الشريف أداءاً لبعض ما يجب علينا تجاه العترة الطاهرة ، سائلاً
المولى - عز وجل - أن يعمَّ بنفعها المؤمنين ، وينفعني بها يوم لا ينفع
مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إنه ولي التوفيق ، وعلى الله قصد السبيل

٢٠ / جمادى الثاني / ١٤١٧ هـ

بين يدي السيرة

الحديث عن الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام صعب مستصعب لا يدركه أحد إلا الله ومن عرفه الله ذلك وهم النبي وأهل بيته عليهم السلام. وكيف يتأتى لأمثالنا الحديث عن فاطمة وهي من دارت على معرفتها القرون الأولى ^١ ، وهي قطب دائرة الإمكان ومحور البيت النبوي ^٢ ، وهي العلة الغائية للخلق والكون بأسره ، وقد أشار إلى ذلك الحديث الشريف (ما خلقتُ سماءاً مبنية إلا لأجل هؤلاء الخمسة ^٣) وفي حديث قدسي آخر (لولاك (النبي) ما خلقتُ الأفلاك ولولا علي لما خلقتُك ولولا فاطمة لما خلقتُكما) ^٤ .

ولقد حاول البلغاء والأدباء والمتكلمون على مر التاريخ إدراك بعض معانيها ، ووصف بعض حالاتها فعجزت عن ذلك ألسنتهم ، وكَلَّتْ عن بلوغ وصفها أقلامهم ، وقصُرت عن الحديث عنها كلماتهم ، فانقلبوا بغرفة من المحيط الواسع ،

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام : هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى . أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) ورد في حديث الكساء (فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها) .

(٣) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٣ والمراد بالخمسة النبي وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام .

(٤) مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٣٣٤ .

وأُتِيَ يحيط القاصرون بعقولهم المحدودة إدراك المعاني السامية التي إحتوتها فاطمة عليها السلام وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها .

ويبقى . مع كل ما تقدم . أن الميسور لا يسق ط بالمعسور ومالا يدرك كله لا يترك كله ، ويبقى علينا بذل ما أمكن من أجل أداء بعض الحق تجاهها وتجاه من جعلت مودتهم أجر الرسالة { قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } . وهو يحدونا إلى الحديث عن السيدة الزهراء عليها السلام وفاءً لبعض الدين ، وإنتصاراً لأول ظلامه في تاريخ الإسلام ، بما تستوعبه عقولنا القاصرة ، وتؤديه العبارات الضيقة ، مسترشدين في ذلك بأحاديث من عرفوها حق معرفتها وأرشدوا الناس إلى بعض ما يجب عليهم تجاهها .

الزهراء مستودع السر الإلهي

الملاحظ لأحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام يجد أن للزهراء عليها السلام منزلة سامية لا يوازيها أحد من العالمين . سوى والدها وزوجها صلوات الله عليهم . كما يجد المتتبع تركيزاً من رسول الله ﷺ على فضيلة الزهراء عليها السلام ورفع شأنها وإليك بعضاً من هذه الأحاديث^١ ..

قال رسول الله ﷺ : (إن الله ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)

وقال ﷺ : (إن الله تعالى إختار من النساء أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة)

وقال ﷺ : (إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار)

وقال ﷺ : (فاطمة بضعة مني من سرّها فقد سرّني ومن ساءها فقد ساءني ، فاطمة أعز الناس عليّ)

وقال ﷺ : (إن إبنتي فاطمة ملاء الله قلبها وجوارحها إيماناً و يقيناً)

(١) بحار الأنوار ج٣ ٤٢ باب مناقب الزهراء وفضائلها .

ونتساءل عن السر وراء هذا التركيز ؟
وما هو السبب الذي يجعل الزهراء عليها السلام محور البيت النبوي ؟
وما الذي يجعل منها مستودعاً للسر ؟^١
ولعلنا لا نحظى بإجابة شافية عن ذلك ، فلعلّ في دفنها سرّاً
وبقاء قبرها مجهولاً إلى اليوم إشارة إلى عدم إمكان الوصول
إلى كامل المعنى ، وتمام المغزى من وراء ذلك ، لكن ذلك لا
يحول بيننا وبين تلمّس بعض الإجابة عن هذه الأسئلة الحائرة .
إجابات قاصرة :

لعلّ المتتبع لأحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام والباحث في
سيرتهم ، مع مزيدٍ من التأمل يجد أن بعض السر وراء كل هذا
الاحتراف بشخصية الزهراء يكمن في الأسباب التالية :
أولاً : الشخصية الإيمانية التي جسّدت صفات السيدة
فاطمة عليها السلام وسيرتها الذاتية ، والتي أهّلتها لتكون خير أهل
الأرض - بعد أبيها وبعلمها عليها السلام وسيدة نساء العالمين من الأولين
والآخرين ، فهي الوليدة التي فتحت عينها على نور الرسالة بعد
بعثة النبي صلّى الله عليه وآله ، فنشأت في حجر سيد المرسلين ، وغذتها امرأة
من خيرة النساء والتي قام الدين على نصرتها وهي السيدة

(١) ورد في الدعاء (اللهم إني أسئلك بفاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر المستوع فيها) .

خديجة عليها السلام ، ثم واكبت الزهراء عليها السلام مسيرة الدعوة حانيةً على أبيها صلوات الله عليه وآله لتكون له - رغم صغر سنها - نعم المواسي ، فكانت (أم أبيها) ، تسمح عنه الأم الدعوة ، وتزيح عن كاهله أعباء الرسالة .

وحين بلغت الزهراء عليها السلام مبلغ النساء تزوجت نصير النبي الأول الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم ، علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي تحمل ما تحمل في نصرة الدين مجاهداً بـسيفه أعداء رسول الله صلوات الله عليه وآله ، والذي لولاه لما كان لفاطمة كفاءً على وجه الأرض ، ثم أنجبت منه سبطي هذه الأمة ، الإمامين العظيمين الحسن والحسين عليهما السلام ، سيدي شباب أهل الجنة والذين انحصرت فيهما ذرية الرسول صلوات الله عليه وآله ليصدق بذلك الوعد الإلهي { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } .

أضف إلى كل ذلك مجموع الفضائل والمناقب التي ميّزت الزهراء عليها السلام ، من زهد وإنفاق وعبادة وعلم وتقوى و مما سيوافيك بعضه خلال الصفحات القادمة .

نعم هي حياة قصيرة في عمر الزمن ، لكنها حافلة بكل معاني الإيمان والتقوى والفداء والتضحية ، لتكون الزهراء عليها السلام بذلك المثل الأعلى والنموذج الأكمل للشخصية الإيمانية .

ثانياً : تشكل الإمامة - في مفهومنا الديني - الحلقة الأهم التي تتم بها رسالة النبي ﷺ فهي الامتداد الطبيعي للدعوة وكمال الدين وتمام النعمة { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (٣) سورة المائدة ، ولولا الإمام لساخت الأرض بأهلها وهي لاتخلو من وجود إمام يحتج الله به على عباده ظاهراً كان أم مستتراً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا المفهوم الذي ركّز عليه الرسول ﷺ بعبارات مختلفة ومناسبت شتى أبرزها قوله ﷺ (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي)^١ ، وبيعة الغدير ، وحديث الدواة والقرطاس ، وهو المفهوم الذي جسّده أمير المؤمنين عليه السلام كإمام قبل وبعد خلافته ، ثم تحمله أبنائه عليهم السلام واحداً تلو الآخر ، إلى أن يأذن الله لوليه الإمام الثاني عشر المهدي (عجل الله فرجه) بالظهور ليملا الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً . وكانت فاطمة عليها السلام مصدر هذا المبدأ ، فهي الكوثر الذي نبع منه معين الإمامة ، وتربى في كنفه الإمامان الحسن

(١) أبي داود - المناسك رقم ١٦٢٨ - ابن ماجه - المناسك - رقم ٣٠٦٥ .

والحسين عليهما السلام ، فكان التر كيز على شخصيتها وعلى مكانتها تركيزاً على هذا المفهوم ، وحلقةً في سلسلة هداية الأمة إلى هذا الركن الوثيق ، والعروة الوثقى ، والصراط المستقيم .

وقد كان للسيدة الزهراء عليها السلام ، بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله الدور الأبرز في الدفاع عن مفهوم الإمامة المتجسّد في خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، لرسول الله صلّى الله عليه وآله بلا فصل ، داعيةً الأمة للعودة للمعين الصافي ، والنبع الأصيل ، لكن الأمة رفضت الخيار الإلهي ولجأت إلى خيارها . إلا من عصم الله . .

ثالثاً : تشكل الأيام القصيرة التي عاشتها الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله أيام المحنة والألم في حياتها ، فهاهي ترى الأمة تبتعد عن نهج رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو لا يزال مسجّى في فراش موته لم يغسل ولم يكفن بعد ، وتحاول عليها السلام إعادة الحق إلى نصابه بالدعوة تارة وبالاحتجاج أخرى ، وراحت تعلن غضبها وسخطها على جملة المهاجرين والأنصار ، الذين لم يحفظوا رسول الله صلّى الله عليه وآله فيه (والمرء يحفظ في ولده) .

فمع أنها كانت إبنته الوحيدة . حينذاك . ، والأمة لاتزال
قريبة عهد به ﷺ ، إلا أن ذلك كله . مضافاً إلى توصية
الرسول ﷺ بها وأحاديثه عنها . لم يشفع في الانتصار لدعوة
الزهراء عليها السلام ، بل إنها راحت تكابد آلام فراق النبي ﷺ
مشفوعةً بآلام جحد النص ، والبعد عن المنهج القويم الذي خطه
ﷺ .

فكان الحديث عن الزهراء عليها السلام حديثاً عن مظلومية
النبي ﷺ والأذى الذي لحق به من أمته حياً وميتاً ، وإبرازاً
للمعاناة التي عاناها أهـل بيته بعد فقده ، والحديث ذو شجون .
هذه بعض الأسباب والإجابات القاصرة التي يمكن أن
تشكل سبباً يجعل من الحديث عن شخصية الزهراء عليها السلام
مورداً للتركيز من قبل النبي ﷺ وأهل بيته . عليهم السلام . ،
وما خفي علينا من كرامتها عند الله ومنزلتها أكبر من كل
ذلك ، لا تستوعبه أفهامنا ، ولا تطيقه عقولنا ، أدخره الله لها
في عرصات القيامة ومواقفها ، حين تـتكشف الحقائق وترفع
الحجب .

وهذا ما يجعل الباحث عن سيرة الزهراء عليها السلام حائراً
فيم يكتب ومن أين يبدأ ، ولعلنا نوفق في المستقبل إلى بحث
أكثر تفصيلاً عن حياتها وسيرتها ، وقد سبق القول ، أن

الميسور لا يسقط بالمعسور ، فجاءت هذه الصفحات المتواضعة
شاهدة على قلة البضاعة ، نرفعها إلى مقام ولي الله الأعظم
الإمام المنتظر شاهدين على أنفسنا بالعجز والتقصير....
{ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ
لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } (٨٨) سورة
يوسف .

الولادة والنشأة

زواج الرسول ﷺ

بعد أن بلغ رسول الله ﷺ سن الخامسة والعشرين من عمره الشريف ، تقدم لخطبة السيدة خديجة بنت خويلد ^١ عليها السلام ، وكانت من سيّدات قريش وأثرياءها ، وكان لها من العمر أربعين سنة ^٢ ، والمشهور - بين المؤرخين - أنها تزوجت قبل النبي ﷺ بزوجين متعاقبين ، وذهب بعض المحققين إلى أنها كانت بكرة يوم تزوجها الرسول ﷺ ^٣. وذهب أبو طالب عليه السلام ، عم النبي ﷺ في قصة طويلة لخطبتها من عمها ^٤ ، وخطب عليه السلام في الجمع خطبةً أبان فيها فضائل النبي ﷺ ، فتمّت الموافقة وقُدِّمَ لعمه المهر ، وابتدأت رحلة الزواج الميمون ، فكان زواجاً سعيداً مباركاً بين طاهرين .

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن غالب .

(٢) وقيل ست وعشرون ، وقيل ثمانية وعشرون .

(٣) ذكر ذلك علم الهدى السيد المرتضى رحمه الله في كتابه الشافي .

(٤) وقيل والدها .

وقد أنجبت السيدة خديجة عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله أولاداً هم :

١ . القاسم :

وقد توفى في حياة الرسول صلى الله عليه وآله قبل البعثة ، وبه كُتِيَ النبي صلى الله عليه وآله بأبي القاسم .

٢ . عبدالله :

وقد توفى أيضاً كأخيه .

٣ . الطاهر :

وقد ولد بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله وتوفى أيضاً في حياته .

٤ . زينب :

وهي أكبر بنات النبي صلى الله عليه وآله ، وتزوجت بإبن خالتها أبي العاص بن الربيع ، وأنجبت له بنتاً وولداً وهما (أمانة و علي) وتوفي الولد طفلاً ، أما أمانة فقد تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعد شهادة الزهراء عليها السلام . وتوفيت زينب في السنة الثامنة للهجرة .

٥ . رُقِيَّة :

وهي التي تزوجت بإبن عمها عتبة بن أبي لهب ، وقد عُرف بمواقفه العدائية للرسول صلى الله عليه وآله كوالده أبي لهب ، وقد دعا عليه الرسول صلى الله عليه وآله فمزقته الأسود ومات .

وظلَّت رُقِيَّةٌ من بعده إلى أن تزوجها عثمان بن عفَّان ،
وأنجبت له ولداً سمَّاهُ عبدُ اللَّهِ لم يلبث أن تُوفِّيَ ، ولم تنجب
غيره حتى تُوفيت.

٦ . أم كلثوم : (آمنة)

وتزوجت هي الأخرى زواجاً لم يدم من أبْنِ عمها (عتيبة بن
أبي لهب) فتزوجها من بعده عثمان بعد وفاة أختها ، وتُوفيت في
السنة التاسعة للهجرة .

٧ . فاطمة الزهراء عليها السلام

وهي آخر من أنجبتَه السيدة خديجة عليها السلام .
وبقيت السيدة خديجة محبةً لزوجها العظيم مخلصَةً له بما
عُرِفَ عنها من حسن الخلق ورجاحة العقل ، فكانت الزوجة
المثالية في إدارة البيت ، وتربية السلالة الطيبة ، وحين بعث
النبي صلَّى الله عليه وآله كانت مع علي بن أبي طالب عليه السلام . أوَّلُ المبشَّرين
بالدين الجديد وأوَّلُ المؤمنين به ، فوضعت عليها السلام كامل ثروتها
في نصرة الدين ، وبقي علي عليه السلام المحامي والمدافع عن سيد
المرسلين صلَّى الله عليه وآله فقال النبي صلَّى الله عليه وآله مقولته المشهورة (قام الدين على
مال خديجة وسيف علي) .

الولادة المباركة

إبتدأ السر الإلهي والكرامة الربانية مع فاطمة الزهراء عليها السلام منذ اللحظات الأولى، وسبق ذلك ماورد في أصل الخلقة وأنها (مع أبيها وبعلمها وبنيتها) خُلِقُوا أنواراً قبل خلق آدم ، حافين حول العرش يسبحون الله ويحمدونه ، وحين قَدَّرَ الله لهذا السر أن ينزل إلى عالم التكوين المادي حفّه بكراماتٍ ما حَفَّتْ بشيءٍ أو أحد من الخلق ..

يقول الإمام الرضا عليه السلام : قال النبي صلى الله عليه وآله :

لَمَّا عُرِجَ بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبى ، فلما هبطتُ واقعتُ خديجة ، فحملت بفاطمة ، ففاطمة حوراء إنسية فكلماً اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة أبنتي فاطمة^١

وشاء الله - بحكمته البالغة - أن يرافق هذا التكوين وهذا النمو المعجز الخارقة ، والكرامات الظاهرة دالاً على أهمية هذه النبتة الطاهرة ، مشيراً إلى بعض ذلك السر ، فكانت الزهراء عليها السلام تحدثُ أمها وهي في بطنها مراراً لتؤنسها

^(١) عن الأماشي للشيخ الصدوق .

وتخفف عنها أعباء ما كانت تلاقيه من نسوة المجتمع القرشي
الجاهلي ، إلى أن حانت ساعة الميلاد المبارك ، وكان ذلك في
يوم الجمعة ، العشرين من شهر جمادى الثانية بعد المبعث
بخمس سنوات ^١ ، والصراع قائم على أشده بين الرسول الأعظم
ﷺ وعتاة قريش ، مما إنعكس على مقاطعة نساء قريش
للسيدة خديجة عليها السلام .

وقد ورد في الروايات :

(لما أرادت خديجة أن تضع ، بعثت إلى نساء قريش ليأتينها
فيلين منها ماتلي النساء ممن تلد فلم يفعلن وقلن لا نأتيك ، قد
صرت زوجة محمد ﷺ)

وهكذا تُقاطع السيِّدة العظيمة ، والتي كانت من سيدات
المجتمع ، اللواتي يشار إليهن بالبنان ، المعروفات بالثراء
العريض ، فلا تجد من يتولى أمر ولادتها ، ومرةً أخرى يتدخل
الغيب ...

وتكمل الرواية :

(فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمرٌ طوال
كأنهن من نساء بني هاشم ففرغت منهنَّ لما رأتهنَّ ، فقالت
إحداهنَّ : لا تحزني ياخديجة ، إنا رسل ربك إليك نحن أخواتك

(^١) كل ذلك على المشهور من الأقوال بين المؤرخين .

أنا سارة ، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة ،
وهذه مريم بنت عمران ، وهذه كلثم أخت موسى بعثنا الله
إليك لنلي منك ماتلي النساء من النساء^١

فولدت فاطمة (وظهر السر الإلهي)

فوقعت - حين وُضعت - على الأرض طاهرة م طهرة ، ساجدة رافعة
إصبعها قائلة :

(أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أبي رسول الله ، وأن بعلي سيدّ
الأوصياء ، ووُلدي سادة الأسباط) .

وأشرق نور ولادتها حتى دخل بيوتات مكة ، وأزهر
للملائكة في السماء فسَمَّيت لذلك الزهراء .

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٤٦ .

الأسماء المباركة :

- ١ - فاطمة : وسُمِّيَتْ بذلك لأنها^١ :
 - فُطِمت بالعلم وعن الطمث .
 - فُطِمت هي وذريَّتها وشيعتها من النار .
 - فُطِمت من الشر .
 - لأن الخلق فُطموا عن معرفتها .
 - ٢ - الزَّهراء : وذلك لأن الله خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها .
 - ٣ - البتول : لأنها بُتلت (قُطعت) عن النظر .
 - ٤ - الصديقة .
 - ٥ - المباركة .
 - ٦ - الطاهرة .
 - ٧ - الحرّة .
 - ٨ - العذراء .
 - ٩ - الزكيّة .
 - ١٠ - الرضيّة .
 - ١١ - المرضيّة .
- وفي كل أسم من هذه الأسماء وغيرها إشارة إلى بعض صفاتها صلوات الله عليها .

(١) مستل من مجموع الروايات الواردة في التسمية .

النشأة

ابتدأت السيِّدة الزهراء عليها السلام حياتها بين أبوين كريمين
الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وخديجة الكبرى عليها السلام ، تتغذى منهما
الغذاء الروحي الأمثل ، وتتربى على يد أكرم الخلق ، وسيِّد
الرسل ، وإمتزجت حياتها منذ الصغر بالمعاناة ، فكانت
تشاهد ما يحيط بوالدها من أذى قريش وتعنتهم إزاء دعوة الحق
ثم عايشَت محنة حصار بني هاشم في شعب أبي طالب ، حيث
منع عنهم الطعام وأُحكمت عليهم المقاطعة الإجتماعية .
وكانت المصيبة العظيمة ، حينما شاهدت أمها على
فراش الموت ، تلفظ أنفاسها الأخيرة ، مضطهدة بعد أن أعطت
وضحت بكل ماتملك في سبيل الله ، فكان وقع المصيبة على
نفس الزهراء عليها السلام أعظم وأمر .

وشاهدت أباهما صلَّى الله عليه وآله ذات مره وقد ألقت قريش سلا
الجزور على رأسه وهو ساجد يصلي لربه ، فجاءت فاطمة عليها السلام
وطرحته عن رأسه ، وقد أخذ الحزن منها . لما ترى . مأخذاً
عظيماً .

وشاهدت ... وشاهدت.. وكم شاهدت ، لتكون ممن أُوذي في
سبيل الله مع أبويها والخلص من المؤمنين أوائل الدعوة .

وانعكس كل ذلك على شخصيتها العظيمة ليصنع
منها رائدة الإسلام ، وسيّدة أهل الأرض ، ثم ليصطفىها الله
ويطهرها تطهيراً .

الهجرة

حينما بلغت قريش القمة في تماديها وطغيانها وهمّت
بقتل الرسول ﷺ وأوحى الله إلى نبيّه ما خططوا له ، وأمره
بالهجرة إلى المدينة وإستخلاف الإمام علي عليه السلام على أهله
وودائعهم ، كان عبء الفراق على نفس السيدة الزهراء عليها السلام
مريراً ، فاضطرت إلى البقاء في مكة وهاجر الرسول ﷺ إلى
المدينة .

ثم خرجت عليها السلام مهاجرة مع الفواطم (فاطمة بنت أسد
أم الإمام علي ، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب) برفقة الإمام
علي عليه السلام بوصية من رسول الله ﷺ .

وخرج الركب جهاراً في وضع النهار ، على مرأى
ومسمع من عتاة قريش وصناديدهم ، الذين تحداهم بطل
الإسلام الخالد بقوة إيمانه شاباً فتياً ، ووصل الركب إلى قباء
عند المدينة حيث كان النبي ﷺ في إنتظارهم ليدخل معهم
المدينة .

الزواج الميمون

في السنة الثانية للهجرة ، وحينما بلغت السيدة الزهراء
عليها السلام مبلغ النساء ، اشترأت أعناق كبار المهاجرين لخطبتها
والزواج منها ، وتقدم بعضهم إلى النبي ﷺ بذلك ، فكان
يردهم برفق ، معلناً أنه ينتظر في أمر ال زهراء وحي السماء ،
وقد كان ﷺ ينتظر أن يتقدم لخطبتها الكف ء الوحيد على
الأرض ، والذي لو لم يخلق لما كان لها كف ء من الأولين
والآخرين ، نعم .. كان ينتظر الإمام علي عليه السلام بأمرء الله ،
ولكن علياً منعه حياؤه من رسول الله ﷺ عن التقدم لخطبتها
وقلة ذات يده ، إذ لم يكن يملك من حطام الدنيا شيئاً ،
ولنترك الحديث للإمام علي عليه السلام ليروي لنا قصة هذا
الحدث العظيم والزواج المبارك ، الذي تفرّعت منه الذرية
الطاهرة لنبي الإسلام ﷺ .

يقول عليه السلام :

(أتاني أبو بكر وعمر فقالا : لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت
له فاطمة .

قال : فأبىته فلما رأني رسول الله ﷺ ضحك ثم قال :
ما جاء بك يا أبا الحسن ، حاجتك ؟ قال : فذكرت له قرابتي

وقدمني في الإسلام ونصرتني له وجهادي ، فقال : يا علي صدقت فأنت أفضل مما تذكر .

فقلت : يا رسول الله ، فاطمة تزوجنيها ، فقال : يا علي إنه قد ذكرها قبلك رجالٌ فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك .

فدخل عليها ، فقامت فأخذت رداءه ونزعت نعليه وأتته بالوضوء فوضأته بيدها وغسلت رجليه ، ثم قعدت فقال لها : يا فاطمة فقالت : لبيك لبيك حاجتك يا رسول الله ؟ قال : إن علي بن أبي طالب من قد عرف بقرابته وفضله وإسلامه وإني قد سألت ربي أن يزوجه خير خلقه وأحبهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين ؟

فسكتت ولم تول وجهها ولم ير فيه رسول الله كراهة فقام وهو يقول : الله أكبر ، سكوتها إقرارها .

فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال : يا محمد زوجها علي بن أبي طالب فإن الله قد رضيها له ورضيه لها .

وورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال للإمام علي عليه السلام تكلم لنفسك خطيباً ، فقال :

(الحمد لله الذي قرب من حامديه ، ودنا من سائله ، ووعد الجنة من يتقيه ، وأنذر بالنار من يعصيه . نحمده على قديم

إحسانه وأياديه ، حمدَ مَنْ يعلم أنه خالقه وباريه ومميته ومحبيه ،
وسأله عن مساويه ، ونستعينه ونستهديه ، ونؤمن به
ونستكفيه . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة
تبلغه وترضيه ، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ صلاة تزلفه
وتحضيه ، وترفعه وتصطفيه وهذا رسول الله زوجني ابنته
فاطمة على خمسمائة درهم ، فاسألوه واشهدوا) .

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قال علي عليه السلام
قال رسول الله ﷺ : قم فبيع الدرع (وهو كل ما يملك الإمام
حين خطبته السيدة فاطمة) ، فقمت فبيعته وأخذت الثمن ،
ودخلت على رسول الله ﷺ فسكبت الدراهم ، فلم يسألني
كم هي ولا أنا ، خبرته ، ثم قبض قبضة ودعا بلالا فأعطاه
وقال أبتع لفاطمة طيباً ، ثم قبض رسول الله ﷺ من الدراهم
بكلتا يديه فأعطاه أبا بكر وقال : أبتع لفاطمة ما يصلحها من
ثياب وأثاث البيت وأردفه بعمار بن ياسر وبعده من أصحابه .
فحضروا السوق فكانوا يعترضون الشيء مما يصلح ، فلا
يشترون حتى يعرضوه على أبي بكر فإن أستصلحه أشتروه .

فكان مما أشتروه :

قميص بسبعة دراهم

خمار بأربعة دراهم (العباءة)

وقطيفة سوداء خيبرية (دثار)

وسرير مزمل بشريط^(١)

وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من

جز الغنم (الصوف)

وأربع مرافق (بمنزلة الوسادة) من آدم الطائف حشوها أذخر.

وستر من صوف، وحصيرهجري

ورحى لليد ، ومخضب من نحاس

وسقاء من آدم (الجلد)

وقعب للبن ، وشن للماء

ومطهره مزفته^(٢)، وجره خضراء

وكيزان خزف

حتى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع

وحمل أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا معه الباقي .

(١) يظهر أنهم كانوا يصنعون السرير من سعف النخيل ويربط بالليف ليشد أعواده .

(٢) المزفت المطلي بالزفت .

فلما عرض المتاع على رسول الله ﷺ جعل يقلبه بيده
ويقول : بارك الله لأهل البيت .

قال علي عليه السلام : فأقمت بعد ذلك شهراً أصلي مع رسول
الله ﷺ وأرجع إلى منزلي ، ولا أذكر شيئاً من أمر
فاطمة عليها السلام .

ثم قلن أزواج رسول الله ﷺ : ألا نطلب لك من رسول
الله ﷺ دخول فاطمة عليك ؟ فقلت : أفعلن ، فدخلن عليه
فقالت أم أيمن : يارسول الله لو أن خديجة باقية لقرت عينها
بزفاف فاطمة وإنّ علياً يريد أهله ، فقرّ عين فاطمة ببعلها
واجمع شملها وقرّ عيوننا بذلك ، فقال : فما بال علي لا يطلب
مني زوجته ، فقد كنا نتوقع ذلك منه ، قال علي : فقلت :
الحياء يمنعني يارسول الله ﷺ فالتفت إلى النساء فقال : من
هنا ؟ فقالت أم سلمة : أنا أم سلمة وهذه زينب ، وهذه فلانة
وفلانة ، فقال رسول الله ﷺ : هيئوا لابنتي وأبن عمي في
حجري بيتاً ، فقالت أم سلمة : في أي حجرة يارسول الله ؟ فقال
رسول الله ﷺ : في حجرتك وأمر نساءه أن يزيّن ويصلحن من
شأنها .

قالت أم سلمة : فسألت فاطمة : هل عندك طيب
أدخريته لنفسك ؟ قالت : نعم فأتت بقارورة فسكبت منها في

راحتي فشمنت منها رائحة ما شمنت مثلها قط ، فقلت : ما هذا ؟ فقالت : كان دحية الكلبي يدخل على رسول الله ﷺ فيقول لي : يا فاطمة هاتِ الوسادة فاطرحيها لعمك ، فاطرح له الوسادة فيجلس عليها ، فإذا نهض سقط من بين ثيابه شيء فيأمرني بجمعه ، فسأل علي عليه السلام رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : هو عنبر يسقط من أجنحة جبرائيل .

قال علي عليه السلام : ثم قال لي رسول الله ﷺ : يا علي اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً ثم قال : من عندنا اللحم والخبز ، وعليك التمر والسمن فاشتريت تمرًا وسمنًا فحسر رسول الله ﷺ عن ذراعه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى أتخذه حيساً ، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح ، وخبز لنا خبز كثير .

ثم قال لي رسول الله ﷺ : أدع من أحببت ، فأتيت المسجد وهو مشحن بالصحابة ، فأحييت أن أشخص قوماً وأدعو قوماً ، ثم صعدت على ربوة هناك وناديت : أجيئوا إلي وليمة فاطمة ، فأقبل الناس أرسالاً ، فاستحييت من كثرة الناس وقلة الطعام ، فعلم رسول الله ﷺ ما تداخلني فقال : يا علي ساعدوا الله بالبركة قال علي : فأكل القوم عن آخرهم طعامي ، وشربوا شرابي و دعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة الآلف ولم ينقص من الطعام شيء .

ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه ، ثم أخذ صحيفة وجعل فيها طعاماً وقال : هذا لفاطمة وبعلها حتى انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله ﷺ يا أم سلمة هلمي فاطمة ، فانطلقت فأنت بها وهي تسحب أذيالها ، وقد تصببت عرقاً حياءً من رسول الله ﷺ ، فغثرت . فقال رسول الله ﷺ : أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة . فلما وقفت بين يديه كشف الرداء عن وجهها حتى رآها علي عيسى ثم أخذ يدها فوضعها في يد علي عيسى وقال : بارك الله لك في ابنة رسول الله يا علي نعم الزوجة فاطمة ، ويا فاطمة نعم الزوج علي انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا أمر حتى آتيكما . قال علي عيسى : فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة وجلست في جانبها وهي مطرقة إلى الأرض حياءً مني وأنا مطرق إلى الأرض حياءً منها . ثم جاء رسول الله ﷺ فقال : من هاهنا ؟ فقلنا : أدخل يارَسُولَ اللَّهِ ﷺ مرحباً بك زائراً وداخلاً ، فدخل ، فأجلس فاطمة من جانبه ثم قال يا فاطمة إيتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فملأته ماءً ثم أتته به ، فأخذ جرعة فتمضمض بها ثم مجها في القعب ثم صب منها على رأسها ... ثم قال اللهم هذه أبنتي وأحب الخلق إلي ، اللهم وهذا أخي وأحب الخلق إلي اللهم

أجعله لك ولياً وبك حفيماً ، وبارك له في أهله ثم قال يا علي أدخل
بأهلك بارك الله لك ورحمة الله وبركاته عليكم أنه حميد
مجيد^١.

وهكذا تمت مراسيم الخطبة والمهر والزفاف في أبسط صورها
وأروعها لتكون مناراً وسنةً يقتدي بها المؤمنون .

^(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٩٤.٩٦

الحياة الزوجية

وانتقلت فاطمة عليها السلام إلى بيت زوجها لتعيش معه حياةً جديدةً ملؤها الود والتقدير في جوٍ يحيط به القداسة والنزاهة ويكتنفه الزهد وبساطة العيش ، وتقاسمت مع الإمام علي عليه السلام مسؤولية العيش المشترك على بساطته .

يقول الإمام الباقر عليه السلام : إن فاطمة ضمنت لعلي عمل البيت والعجين والخبز وقمّ البيت وضمن علي لها ما كان خلف الباب نقل الحطب وأن يجيء بالطعام .

وراحت عليها السلام تمارس مسؤوليتها على أتم وجه وأكمله متحملة شظف العيش ومرارته وقسوته ، ولقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال لرجل :

ألا أحدثك عني وعن فاطمة أنها كانت عندي وكانت من أحب أهله (الرسول) إليه وأنها أستقت بالقربة حتى أثر في صدرها ، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها ، وكسحت البيت حتى إغبرت ثيابها ، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، فأصابها من ذلك ضرر شديد .

فقلت لها : لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك ضرراً ما أنت فيه من هذا العمل فأنت النبي ﷺ فوجدت عنده حدّاً فاستحت فانصرفت . قال فعلم النبي ﷺ أنها جاءت لحاجه ... ثم جاء النبي وقال : يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد ؟ فقلت : أنا والله أخبرك يا رسول الله ﷺ (فأخبره بحاجة الزهراء للخادم) فقال النبي : أفلا أعلمكما ماهو خير لكما من الخادم ؟ إذا أخذتما منامكما فسبّحاً ثلاثاً وثلاثين ، واحمداً ثلاثاً وثلاثين ، وكبيراً أربعاً وثلاثين ، فقالت فاطمة : رضيت عن الله ورسوله ^١ .

وهكذا كانت سيرتها لتعطي بذلك دروساً وعبراً للأجيال في الطريقة الأمثل للحياة الزوجية التي لا تثقل فيها المرأة كاهل الزوج ، ولا تكلفه مالا يطيق إحساساً لما عند الله واليوم الآخر .

وحين أرسل الرسول ﷺ لفاطمة بعد فترة من الزمن خادماً (هي فضة) قسّمت العمل بينها وبين خادمها كأنها إحدى نساء البيت لتتخرج من بيت النبوة رائدة صالحة من نساء المسلمين .

(١) عن بحار الأنوار ج٤ ص ٨٢ بحذف واختصار .

وعاشت الأسرة الصغيرة في كنف النبي ﷺ دون أن يحدث مايكدّر صفو عيشها ، مما يحدث عادةً بين الأزواج ، وما ورد من الروايات التي تُنبأ عن بعض الشجار والخلاف بينهما ﷺ مطروح أو تأوّل وإلا فإن جلالة شأنهما وعص متهما تأبى قبول ذلك بظاهره .

يقول الشيخ الصدوق رضوان الله عليه معلقاً على بعض هذه الأخبار :

(ليس هذا الخبر عندي بمعتمد ، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة لأن علياً وفاطمة ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله ﷺ إلى الإصلاح بينهما ، لأنه ﷺ سيد الوصيين وهي سيدة نساء العالمين مقتديان بنبي الله ﷺ في حسن الخلق) ولقد أجاد رضوان الله عليه فيما أفاد .

وروي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال : (فوالله ما أغضبْتُها ولا أكرهْتُها على أمرٍ حتى قبضها الله عزوجل ، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً ، لقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان .

ولادة الإمام الحسن عليه السلام

في السنة الثانية للزواج المبارك حملت السيدة الزهراء بالإمام الحسن عليه السلام ، ثم ولدته في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ، فجاءوا به إلى النبي ﷺ فاستقبله بالبشر والسعادة وقال لعلي عليه السلام : هل سميت به ؟ فقال علي عليه السلام : ما كنت لأسبقك باسمه فقال النبي ﷺ وما كنت لأسبق ربي عز وجل . فأوحى الله إلى جبرائيل أنه قد ولد لمحمد ابن فاهبط ، فاقرأه السلام وهنأه وقل له إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمه باسم ابن هارون . فهبط جبرائيل فهنأه من الله عز وجل ثم قال : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون ، فقال النبي ﷺ وما كان إسمه ؟ قال جبرائيل : شبر فقال النبي : لساني عربي قال جبرائيل : سمّه الحسن ، وأذن رسول الله ﷺ في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى .

ولادة الإمام الحسين عليه السلام

(١) لأن كلمة شبر عبرية وليست عربية .

وحملت الزهراء عليها السلام بعد ذلك بالإمام الحسين عليه السلام ،
وما إن مضت ستة أشهر على الحمل حتى شعرت الزهراء عليها السلام
بعلائم الولادة ... فولد الإمام الحسين عليه السلام وأخذته أم أيمن
وجاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبي ﷺ : هلمي إلي أبنِي
فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنا لم ننظفه بعد ، فقال : أنتِ
تنظفينه ؟ إن الله تبارك وتعالى قد نظّفه وطهره .
وهبط جبرائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وأمره أن يسميه
باسم ابن هارون شبير ومعناه بالعربية الحسين .

ولادة الصديقة الصغرى

وفي السنة الخامسة من الهجرة وُلدت السيدة زينب عليها السلام
وسماها الرسول صلى الله عليه وآله بذلك .

ولادة السيدة أم كلثوم

وبعدها جاء المولود الرابع للبيت النبوي العلوي وهي
السيدة أم كلثوم عليها السلام .

فاطمة مناقب و فضائل

(^١) وقيل أنه قال ذلك لصفية بنت عبد المطلب (عمّة النبي ﷺ) .

الحديث عنها . كما سبق القول . خارج عن طاقة
الكاتب وقد آثرت أن أذكر مجموعة من النصوص دون التعليق
، فالقلم عاجز ، والبيان ضيق ، العقل قاصر .
أ . عبادتها :

يقول الإمام الحسن عليه السلام :
رأيت أُمي فاطمة ليلة الجمعة وقد وقفت للعبادة .. وما زالت بين
راكعة وساجدة وقائمة وقاعدة ، حتى أسفر الصبح ، وهي
تدعو للمؤمنين والمؤمنات ، تسميهم بأسمائهم .. قال الإمام
الحسن عليه السلام فقلت يا أماه : لماذا لم تدعي ل نفسك ، وإنما
دعوت لسائر المؤمنين ؟ قالت : يا بُنَيَّ الجار ثم الدار .
ب . زهدا

لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ }
أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ {
بكى النبي ﷺ بكاءً شديداً وبكت صحابته لبكائه ولم
يدروا ما نزل به جبرائيل عليه السلام ، ولم يستطع أحد من صحابته
أن يكلمه .

وكان النبي ﷺ إذا رأى فاطمة عليها السلام فرح بها ، فانطلق
بعض أصحابه إلى باب بيتها ، فوجد بين يديها شعيراً وهي

تطحن فيه وتقول { وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى } {فسلم عليها وأخبرها بخبر النبي ﷺ وبكائه .

فنهضت والتفت بشملة لها قد خيطت في اثني عشر مكاناً بسعف النخيل ، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة وبكى وقال : وأحزنه إن [بنات] قيصرو وكسرى لفي السندس والحريز ، وابنة محمد ﷺ عليها شملة صوف خلقة قد خيطت في اثني عشر مكاناً .

فلما دخلت فاطمة على النبي ﷺ قالت : يا رسول الله إن سلمان تعجب من لباسي ، فوالذي بعثك بالحق مالي ولعلي منذ خمس سنين إلا مسك كبش نعلف عليها بالنهار بغيرنا ، فإذا كان الليل افترشناه وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف فقال النبي ﷺ : يا سلمان إن ابنتي لفي الخيل السوابق ثم قالت : يا أبت فديتك ما الذي أبكاك ؟ فذكر لها ما نزل به جبرائيل من الآيتين المتقدمتين قال : فسقطت فاطمة ^{عليها السلام} على وجهها وهي تقول : الويل ثم الويل لمن دخل النار .

ج - كراما لها :

- عن ابن عباس قال : خرج أعرابي من بني سليم يتبدّى في البرية ، فإذا هو بضربٍ قد نفر من بين يديه ، فسعى وراءه حتى أصطاده فجعله في كفه فأقبل يزولف نحو النبي ﷺ فلما أن وقف بإزائه ناداه : يا محمد يا محمد ، وكان من أخلاق رسول الله ﷺ إذا قيل له : يا محمد قال : يا محمد ، وإذا قيل له : يا أحمد قال : يا أحمد ، وإذا قيل له يا أبا القاسم ، قال : يا أبا القاسم ، وإذا قيل له : يا رسول الله ، قال : لبيك وسعديك وتهلل وجهه . فلما أن ناداه الأعرابي يا محمد يا محمد قال له النبي ﷺ : يا محمد يا محمد ، قال له : أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة هو أكذب منك ، أنت الذي تزعم أن لك في هذه الخضراء إلهاً بعث بك إلى الأسود والأبيض واللات والعزى ، لولا أني أخاف أن قومي يسموني العجول لضربتُك بسيفي هذا ضربة أقتلك بها ، فأسود بك الأولين والآخرين . فوثب إليه عمر بن الخطاب ليبطش به فقال النبي ﷺ : اجلس يا أبا حفص ، فقد كاد الحليم أن يكون نبياً . ثم إلتفت النبي ﷺ إلى الأعرابي فقال له : يا أخا بني سليم هكذا تفعل العرب ؟ يتهجمون علينا في مجالسنا يجبهوننا بالكلام الغليظ ؟ يا أعرابي والذي بعثني بالحق نبياً إن من ضربني في دار الدنيا هو غداً في النار يتلظى ،

يا أعرابي والذي بعثني بالحق نبياً إن أهل السماء السابعة
يسمونني أحمد الصادق ، يا أعرابي أسلم تسلم من النار يكون
لك ما لنا وعليك ما علينا وتكون أخانا في الإسلام . قال
فغضب الأعرابي وقال : واللات والعزى لا أؤمن بك يا محمد أو
يؤمن هذا الضب ، ثم رمى بالضب على كفه فلما أن وقع
الضب على الأرض ولّى هارباً ، فناداه النبي ﷺ : أيها الضب
أقبل إلي ، فأقبل الضب ينظر إلى النبي ﷺ قال فقال له النبي
ﷺ : أيها الضب من أنا ؟ فإذا هو ينطق بلسان فصيح ذرب غير
قطع فقال : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف ، فقال له النبي ﷺ : من تعبد ؟ قال : أعبد الله
عز وجل الذي فلق الحبة وبرأ النسمة وأتخذ إبراهيم خليلاً
وأصطفاك يا محمد حبيباً .

قال : ثم أطبق على فم الضب فلم يحر جواباً ، فلما نظر
الأعرابي إلى ذلك قال : وأعجبا ضبٌ اصطدته من البرية ثم
أتيت به في كمٍّ ي لا يفقه ولا ينقه ولا يعقل يكلم محمدًا ﷺ
بهذا الكلام ويشهد له بهذه الشهادة أنا لا أطلب أثراً بعد عين
، مدّ يمينك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله ، فأسلم الأعرابي وحسن إسلامه .

ثم التفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال لهم : علّموا الأعرابي سوراً من القرآن قال : فلما أن علّم الأعرابي سوراً من القرآن قال له النبي ﷺ : هل لك شيء من المال ؟ قال : والذي بعثك بالحق نبياً إنّ أربعة آلاف رجل من بني سليم ما فيهم أفقر مني ولا أقلّ مالاً .

ثم التفت النبي ﷺ فقال : من يزود الأعرابي وأضمن له على الله عز وجل زاد التقوى ، قال : فوثب إليه سلمان الفارسي فقال : فذاك أبي وأمي وما زاد التقوى ؟ قال : يا سلمان إذا كان آخر يوم من الدنيا لقنك الله عز وجل قول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن أنت قلتها لقيتني ولقيتك ، وإن أنت لم تقلها لم ت لقيني ولم القك أبداً . قال : فمضى سلمان حتى طاف تسعة أبيات من بيوت رسول الله ﷺ فلم يجد عندهن شيئاً ، فلما أن ولّى راجعاً نظر إلى حجرة فاطمة عليها السلام ، فقال : إن يكن خير فمن منزل فاطمة بنت محمد ﷺ ففرع الباب فأجابته من وراء الباب : من بالباب ؟ فقال لها : أنا سلمان الفارسي فقالت له : يا سلمان وما تشاء ؟ فشرح قصة الأعرابي والضرب مع النبي ﷺ فقالت له : يا سلمان والذي بعث محمداً ﷺ بالحق نبياً إنّ لنا ثلاثاً ما طعمنا ، وأن الحسن والحسين قد اضطربا عليّ من شدة الجوع ، ثم رقدا

كَأَنَّهُمَا فَرَّخَانَ مَنُتَوَفَانِ ، وَلَكِنْ لَا أَرُدُّ الْخَيْرَ إِذَا نَزَلَ الْخَيْرُ
بِبَابِي . يَا سَلْمَانَ خُذْ دَرْعِي هَذَا ثُمَّ امْضُ بِهِ إِلَى شَمْعُونَ الْيَهُودِيِّ
وَقُلْ لَهُ : تَقُولُ لَكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ : أَقْرِضْنِي عَلَيْهِ صَاعًا مِنْ
تَمَرٍ وَصَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَرَدَهُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ : فَأَخَذَ
سَلْمَانُ الدَّرْعَ ثُمَّ أَتَى بِهِ إِلَى شَمْعُونَ الْيَهُودِيِّ فَقَالَ لَهُ : يَا شَمْعُونَ
هَذَا دَرْعُ فَاطِمَةَ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ لَكَ : أَقْرِضْنِي عَلَيْهِ صَاعًا
مِنْ تَمَرٍ وَصَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَرَدَهُ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ : فَأَخَذَ شَمْعُونَ الدَّرْعَ ثُمَّ جَعَلَ يَقْلِبُهُ فِي كَفِّهِ وَعَيْنَاهُ
تَذَرِفَانِ بِالْدموعِ وَهُوَ يَقُولُ : يَا سَلْمَانَ هَذَا هُوَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا
هَذَا الَّذِي أَخْبَرْنَا بِهِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ فِي التَّوْرَةِ أَنَا أَشْهَدُ أَنَّ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ
إِسْلَامَهُ .

ثُمَّ دَفَعَ إِلَى سَلْمَانَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ وَصَاعًا مِنْ شَعِيرٍ فَأَتَى بِهِ
سَلْمَانَ إِلَى فَاطِمَةَ فَطَحَنَتْهُ بِيَدِهَا وَاخْتَبِزَتْهُ خَبْزًا ثُمَّ أَتَتْ بِهِ إِلَى
سَلْمَانَ فَقَالَتْ لَهُ : خُذْهُ وَامْضُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فَقَالَ لَهَا
سَلْمَانَ : يَا فَاطِمَةُ خُذِي مِنْ قَرَصًا تَعْلَلِينَ بِهِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ،
فَقَالَتْ : يَا سَلْمَانَ هَذَا شَيْءٌ أَمْضِيْنَاهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَسْنَا نَأْخُذُ مِنْ
شَيْءٍ .

قال : فأخذه سلمان فأتى به إلى النبي ﷺ فلما نظر النبي

ﷺ إلى سلمان قال له : يا سلمان من أين لك هذا ؟ قال من منزل بنتك فاطمة ، قال : وكان النبي ﷺ لم يطعم طعاماً منذ ثلاث .

قال : فوثب النبي ﷺ حتى ورد إلى حجرة فاطمة ، ففرع الباب وكان إذا قرع النبي ﷺ الباب لا يفتح له الباب إلا فاطمة فلما فتحت له الباب نظر النبي ﷺ إلى صفار وجهها وتغير حدقتها ، فقال لها : يا بنية ما الذي أراه من صفار وجهك وتغير حدقتيك ، فقالت : يا أبة إن لنا ثلاثاً ما طعمنا طعاماً وإن الحسن والحسين قد اضطربا عليّ من شدة الجوع ثم رقدا كأنهما فرخان منتوفان .

قال : فأنبههما النبي ﷺ فأخذ واحداً على فخده الأيمن ولآخر على فخده الأيسر وأجلس فاطمة بين يديها واعتنقا النبي ﷺ ودخل علي بن أبي طالب عليه السلام فاعتنق النبي ﷺ من ورائه ، ثم رفع النبي ﷺ طرفه نحو السماء فقال : إلهي وسيدي ومولاي هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

قال : ثم وثبت فاطمة بنت محمد ﷺ حتى دخلت إلى مخدع لها فصفت قدميها فصلت ركعتين ثم رفعت باطن

كفيها إلى الس ماء وقالت : إلهي وسيدي هذا محمد نبيك ،
وهذا علي ابن عم نبيك ، وهذان الحسن والحسين سبطا نبيك
إلهي أنزل علينا مائدة من السماء كما أنزلتها على بني إسرائيل
أكلوا منها وكفروا بها ، أنزلها علينا فإننا بها مؤمنون .
قال ابن عباس :

والله ما استتمت الدعوة فإذا هي بصحفة من ورائها
يفور قنارها وإذا قنارها أزكى من المسك الأذفر ، فاحتضنتها
ثم أتت بها إلى النبي ﷺ وعلي والحسن والحسين ، فلما أن
نظر إليها علي بن أبي طالب عليه السلام قال لها : يا فاطمة من أين
لك هذا ؟ ولم يكن عهد عندها شيئاً وقال له النبي ﷺ : كل
يا أبا الحسن ولا تسأل الحمد لله الذي لم يمتني حتى رزقني
مثلها مثل مريم بنت عمران { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا
الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } .

قال : فأكل النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين
وخرج النبي ﷺ وتزوّد الإعرابي واستوى على راحلته وأتى بني
سليم وهم يومئذ أربعة آلاف رجل فلما أن وقف في وسطهم
ناداهم بعلوّ صوته : قولوا لا إله إلا الله محمداً رسول الله .

قال : فلما سمعوا منه هذه المقالة أسر عوا إلى سيوفهم

فجردوها ، ثم قالوا له : لقد صبوت إلى دين محمد الساحر الكذاب ، فقال لهم : ما هو بساحر ولا كذاب . ثم قال : يا معشر بني سليم إن إله محمد ﷺ خير إله وإن محمد ﷺ خير نبي : أتيتته جائعاً فأطعمني ، وعارياً فكساني ، وراجلاً فحملني ، ثم شرح لهم قصة الضب مع النبي ﷺ وأنشدهم الشعر الذي أنشد في النبي ﷺ . ثم قال : يا معشر بني سليم أسلموا تسلموا من النار ، فأسلم في ذلك اليوم أربعة آلاف رجل وهم أصحاب الرايات الخضراء وهم حول رسول الله ﷺ .

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال : إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعل علي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب : نقل الحطب وأن يجيء بالطعام ، فقال لها يوماً : يا فاطمة هل عندك شيء ؟ قالت : والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به قال : أفلا أخبرتي ؟ قالت : كان رسول الله ﷺ نهاني أن أسألك شيئاً فقال : لا تسألين ابن عمك شيئاً إن جاءك بشيء [عفو] وإلا فلا تسأليه . قال : فخرج علي عليه السلام فلقى رجلاً فاستقرض منه ديناراً ثم أقبل به وقد أمسى ، فلقى مقداد بن الأسود فقال للمقداد : ما أخرجك في هذه الساعة ؟ قال : الجوع

والذي عظمَ حقك يا أمير المؤمنين ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام :
 : ورسول الله حي ؟ قال : ورسول الله صلّى الله عليه وآله حي ، قال : فهو
 أخرجني وقد أستقرضت دينارا وساؤثرك به فدفعه إليه فأقبل
 فوجد رسول الله صلّى الله عليه وآله جالسا وفاطمة تصلي وبينهما شيء مغطى
 فلما فرغت أجتريت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم قال : يا
 فاطمة أتى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء
 بغير حساب فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله ألا أحدثك بمثلك ومثلها ؟
 قال : بلى ، قال مثلك مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب
 فوجد عندها رزقا قال : يا مريم أتى لك هذا قال ت : هو من
 عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فأكلوا منها شهرا
 وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام وهي عندنا .

د . منزلتها عند الله

عن الصادق ، عن أبيه عليهما السلام ، عن جابر بن عبد الله

الأنصاري قال :

صلى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله صلاة العصر فما انفتل جلس في قبلته
 والناس حوله ، فبيناهم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة
 العرب عليه سم ل قد تهلل وأخلق وهو لا يكاد يتمالك كبرا
 وضعفاً ، فأقبل عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله يستحثه الخبر فقال الشيخ

: يا نبي الله أنا جائع الكبد فأطعمني ، وعاري الجسد
فاكسني ، وفقير فارشني .

فقال ﷺ : ما أجد لك شيئاً ولكن الدال على الخير
كفاعله ، انطلق إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله ، يؤثر الله على نفسه ، انطلق إلى حجرة فاطمة ،
وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله ﷺ الذي ينفرد به لنفسه
من أزواجه ، وقال : يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة فانطلق
الأعرابي مع بلال ، فلما وقف على باب فاطمة نادى بأعلى
صوته : السلام عليك م يا أهل بيت النبوة ، ومختلف الملائكة
، ومهبط جبرائيل الروح الأمين بالتنزيل ، من عند رب العالمين ،
فقالت فاطمة : وعليك السلام فمن أنت يا هذا ؟ قال : شيخ من
العرب أقبلت على أبيك سيد البشر مهاجراً من شقة وأنا يا بنت
محمد عاري الجسد ، جائع الكبد ، فواسيني يرحمك الله ،
وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال ورسول الله ﷺ ثلاثاً ما
طعموا فيها طعاماً ، وقد علم رسول الله ﷺ ذلك من شأنهما .
فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقراظ كان
ينام عليه الحسن والحسين فقالت : خذ هذا أيها الطارق ،
فعسى الله أن يرتاح لك ما هو خير منه ، قال الأعرابي : يا بنت

محمد شكوت إليك الجوع فتناوليني جلد كبش ما أنا صانع به مع ما أجد من السَّغْب .

قال : فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في

عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب ،

فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت : خذه وبعه

فعسى الله أن يعوضك به ما هو خير منه ، فأخذ الأعرابيُّ

العقد وانطلق إلى مسجد رسول الله والنبي ﷺ جالس في

أصحابه ، فقال : يا رسول الله أعطتني فاطمة [بنت محمد]

هذا العقد فقالت بعه فعسى الله أن يصنع لك .

فقام عمار بن ياسر رحمة الله عليه فقال : يا رسول الله

أتأذن لي بشراء هذا العقد ؟ قال : اشتره يا عمار فان اشترك فيه

التقلان ما عذبهم الله بالنار ، فقال عمار : بكم العقد يا

أعرابي ؟ قال : بشبعة من الخبز واللحم وبُرْدَة يمانية أستر بها

عورتِي وأصلي فيها لربي ، ودينار يبلغني إلى أهلي ، وكان

عمار باع سهمه الذي نقله رسول الله ﷺ من خيبر ولم يبق من

شيئاً فقال : لك عشرون ديناراً و مأتا درهم هجريّ وبرْدَة يمانية

ورحلتِي تبلّغك أهلك وشبعك من خبز البرِّ واللحم .

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال أيها الرجل ، وانطلق به عمار

فوفّاه ما ضمن له .

وعاد الأعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : أشبعت واكتسيت ؟ قال الأعرابي : نعم وأستغنيت بأبي أنت وأمي قال : فاجز فاطمة بصنيعها فقال الأعرابي : اللهم إني إله ما استحدثاك ، ولا إله نعبده سواك وأنت رازقنا على كل الجهات اللهم أعط فاطمة مالا عين رأت ولا أذن سمعت .

فأمن النبي ﷺ على دعائه وأقبل على أصحابه فقال : إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك : أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي ، وعلي بعلمها ولولا علي ما كان لفاطمة كفاء أبداً ، وأعطاهما الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيديا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة . وكان بازائه مقدار وعمار وسلمان . فقال : وأزيدكم ؟ قالو : نعم يا رسول الله .

قال : أتاني الروح يعني جبرائيل عليه السلام أنها إذا هي قبضت ودفنت يسألها الملكان في قبرها : من ربك ؟ فتقول : الله ربي ، فيقولان : فمن نبيك ؟ فتقول : أبي ، فيقولان : فمن وليك ؟ فتقول : هذا القائم على شفير قبري علي بن أبي طالب عليه السلام .

ألا وأزيدكم من فضلها : أن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن

شمالها وهم معها في حياتها وعند قبرها وعند موتها يكثرون الصلاة وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها .

فمن زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي . ومن زار فاطمة فكأنما زارني ، ومن زار علي بن أبي طالب فكأنما زار فاطمة ، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً ، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما .

فعمد عمّار إلى العقد ، فط يّيه بالمسك ، ولّفه في برده يمانية ، وكان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذلك السهم الذي أصابه بخيبر ، فدفع العقد إلى المملوك وقال له : خذ هذا العقد فادفعه إلى رسول الله ﷺ وأنت له ، فأخذ المملوك العقد فأنتى به رسول الله ﷺ وأخبره بقول عمّار ، فقال النبي : انطلق إلى فاطمة فادفع إليها العقد وأنت لها ، فجاء المملوك بالعقد وأخبرها بقول رسول الله ﷺ فأخذت فاطمة عليّاً العقد وأعتقت المملوك ، فضحك الغلام ، فقالت : وما يضحكك يا غلام ؟ فقال : أضحكني عظم بركة هذا العقد ، أشبع جائعاً ، وكسى عرياناً وأغنى فقيراً ، وأعتق عبداً ، ورجع إلى ربه .

وفاة الرسول ﷺ

وحلّت السنة العاشرة للهجرة ، وهاهو الرسول ﷺ مسجّى على فراش مرضه ، ينتظر لقاء الله عز وجل بعد أن أدّى رسالاته ، وبلغ شرائعه ، وأبان للناس ما يحتاجون إلى يوم القيامة ، وأرشدهم إلى القيادة الربّانية التي أمره الله أن يعينها ... وتمشي إليه فاطمة عليها السلام والأسى واللوعة يكتنفانها ، أسى الألم ، ولوعة الفراق ، فجاءت وجلست إلى جانبه ، فأدناها النبي ﷺ وناجاها مرة فبكت ، ثم ناجاها - أخرى - فتهلل وجهها الكريم ، وكان في الأولى إخبار الأب الشفيق ، والرسول الكريم لابنته العظيمة بقرب دنو الأجل ، و في الثانية إخبارها بسرعة الحقوق ، وأنها أول أهل بيته وفوداً عليه ... فسرعان ما يكون الملتقى .

وما أن غادرت السيدة الزهراء عليها السلام حجرة أبيها ﷺ حتى تعالت صيحات النساء تعلن للناس وفاة الرسول ﷺ ، ذلك المصاب الجلل الذي أذهل الناس جميعاً ، إلا أن وقع المصاب على نفس الزهراء عليها السلام (وهي البنت التي طالما حنى عليها الرسول ﷺ واحبها) كان الأشد .

وإبتدا فصل جديد من الأسى في حياة السيدة فاطمة عليها السلام ،
ولقد بكت على أبيها حتى عدت من البكائين الخمسة ، إلى
جانب آدم ويعقوب ويوسف وحفيدها الإمام السجاد عليه السلام .

الزهراء بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه وآله

تقول فضه (خادمة الزهراء عليها السلام) : جلست سبعة أيام لا
يهدأ لها أنين ، ولا يسكن منها الحنين ، كل يوم جاء كان
بكائها أكثر من اليوم الأول ، فلما كان اليوم الثامن أبدت
ما كتمت من الحزن ، فلم تنطق صبراً إذ خرجت وصرخت ،
فكانها من فم رسول الله صلوات الله عليه وآله تنطق ، فتبادرت النساء ، وضج
الناس بالبكاء والنحيب .

ثم أقبلت تعثر في أذيالها ، وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها
، ومن تواتر دمعها ، حتى دنت من قبر أبيها محمد صلوات الله عليه وآله ، فلما
نظرت إلى الحجرة ، قصرت خطاها ، ودام نحيبها وبكاها ،
إلى أن أغمي عليها ... فلما أفاقت من غشوتها ، قامت وهي
تقول : رفعت قوتي ، وخانني جلدي ، وشممت بي عدوي ،
والكمد قاتلي ، يا أبتاه بقيت والهة وحيدة ، وحيرانة فريدة ،

فقد إنحمد صوتي ، وإنقطع ظهري ، وتتغص عيشي ، وتكدر
دهري فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي ، ولا راداً لدمعتي
، ولا معيناً لضعفي ، فقد فني بعدك محكم التنزيل ، ومهبط
جبرائيل ومحل ميكائيل ، إنقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب ،
وتغلقت دوني الأبواب ، فأنا للدنيا بعدك قالية ، وعليك ما
ترددت أنفاسي باكية ، لا ينفد شوقي إليك ولا حزني عليك ^١

....

ثم راحت الزهراء عليها السلام تخاطب الرسول صلى الله عليه وآله ، مظهرة له
مالقيت بعده من الظلم فقالت : يا أبتاه أمسينا بعدك من
المستضعفين ، يا أبتاه أصبحت الناس عتاً معرضين ، ولقد كنا
بك معظمين في الناس غير مستضعفين ^٢.

فكان بكاءؤها عليها السلام صرخةً تدوي لتعلن إستلاب الحق
وصولة الباطل وتراجع الأمة عن النهج القويم ، إذ قالت معددةً
مآثر الإمام علي عليه السلام : أكل أبو الحسن المؤمن أبو ولديك ،
الحسن والحسين ، وأخوك ووليك وحبيبك ، ومن ربّيته صغيراً
، وواخيته كبيراً ، وأحلى أحبابك وأصحابك إليك ، من كان

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) المصدر

منهم سابقاً ومهاجراً وناصرًا ، والشكل شاملنا والبكاء قاتلنا
والأسى لازمنا ^١ .

وتواصل فضه حديثها قائلة :

ثم رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعيول ليلها
ونهارها ، وهي لاترقأ دمعها ولا تهدأ زفرتها.

واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام
فقالوا له (وكأنهم أستكثروا حق الزهراء عليها السلام في إعلان
ظلامتها) : يا أبا الحسن إن فاطمة تبكي الليل والنهار فلا أحد
منا يتنهأ بالنوم في الليل على فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على
أشغالنا وطلب معاشنا ، وإنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكي
ليلاً أو نهاراً ، فقال عليه السلام حباً وكرامة .

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام
وهي لاتفيق من البكاء ولا ينفع معها العزاء ، فلما رآته
سكنت هنيئاً له ، فقال لها : يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إن شيوخ
المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكين أباك ليلاً وإما نهاراً .
فقالت : يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب
مغيبي من بين أظهرهم ، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو
ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله .

(١) المصدر

فقال لها علي عليه السلام : إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك ^١ .
ثم بنى لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً في البقيع خارج المدينة
يسمى (بيت الأحران) ، وكانت الزهراء عليها السلام إذا أصبحت
قدّمت الحسن والحسين أمامها ، وخرجت إلى البقيع باكية
حتى يجنها الليل ، فيأتي أمير المؤمنين عليه السلام ليأخذها إلى
منزلها .

وهكذا بقيت الزهراء عليها السلام حليفة الحزن ولقد بلغت
بحزنها وبكائها رسالة أبيها إلى الناس ، لو أنهم وعوا وأدركوا
، ولكن لا حياة لمن تنادي !

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٧ .

الزهراء في وصيتها الأخيرة

ولما أحست الزهراء عليها السلام في مرضها بقرب رحيلها ، ونُعت إليها نفسها ، أرسلت وراء أمير المؤمنين عليه السلام لتوصيه بوصاياها الأخيرة ، وحين جاءها قالت له : يا بن عم إنه قد نعت إلي نفسي ، وإنني لا أرى ما بي إلا أنني لاحق بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي .

فقال لها علي عليه السلام : أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت : يا بن عم ماعهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني .

فقال عليه السلام : معاذ الله أنت أعلم بالله وأبروأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتي ، وقد عز عليّ مفارقتك وتفقدك ، إلا أنه أمر لابد منه ، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ، ورزية لا خلف لها .

ثم قالت : جزاك الله عني خير الجزاء يا بن عم رسول
الله ﷺ ، أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة ،
فإنها تكون لولدي مثلي فإن الرجال لا بد لهم من النساء .
ثم قالت : أوصيك يا بن عم أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت
الملائكة صوروا صورته ، فقال صفيه لي ، فوصفته ، فاتخذ
لها فأول نعش عمل على وجه الأرض ذاك ... وإدفني في الليل إذا
هدأت العيون ونامت الأبصار^(١) .

(١) بحار الأنوار ٤٣ ص ١٩١ - ١٩٢ .

الزهراء في لحظاتها الأخيرة^١

ولما جاء اليوم الموعد^٢ وأحست السيدة الزهراء عليها السلام باقتراب أجلها قالت لسلمى^٣ أسكبي لي غسلاً ثم أغتسلت وقالت لها أعطيني ثيابي الجدد .
قالت سلمى فأعطيتها فلبست ثم قالت قدمي لي فراشي
وسط البيت فاضطجعت وأستقبلت القبلة وقالت إني مقبوضة الآن .

وفي رواية أسماء قالت فناديتها فلم تجبني .
فبينما هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين فقالا يا
أسماء ما نعيم أمّا في هذه الساعة ؟ قالت يا بني رسول الله صلى الله عليه وآله
ليست أمكما نائمة قد فارقت الدنيا فوقع عليها الحسن يقبلها
ويقول يا أمّاه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني ، وأقبل
الحسين يقبل رجلها ويقول يا أمّاه أنا إبنك الحسين كلّميني
قبل أن يتصدع قلبي فأموت .

(١) اقتبسنا هذا الفصل من مجموع الروايات الواردة في شأن وفاتها وفيها اختلاف كثير .

(٢) اختلف المؤرخون في يوم وفاتها إختلافاً شديداً فقال بعضهم أنها عاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً والمشهور عندنا خمس وسبعون يوماً ، وعلى هذا يكون عمرها الشريف ثمانية عشر عاماً ، والمشهور في يوم وفاتها هو الثالث من شهر جمادى الثانية وقيل الثالث عشر من شهر جمادى الأول .

(٣) وفي رواية لأسماء ، ولعلها تصحيف .

قالت لهما أسماء يا بني رسول الله ﷺ إنطلقا إلى أبيكما فأخبراه بموت أمكما ، فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعوا أصواتهما بالبكاء فابتدرهما جميع الصحابة فقالوا ما يبكيكما يا بني رسول الله ﷺ فقالا أو ليس قد ماتت أمنا فاطمة صلوات الله عليها ، فوقع علي ﷺ على وجهه يقول بمن العزاء يا بنت محمد ، كنت بك أتعزاء ففيم العزاء من بعدك .

فصاح أهل المدينة صيحة واحدة حتى كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهم . واجتمعوا ينتظرون خروج الجنازة ، فخرج إليهم أبو ذر رضي الله عنه وقال انصرفوا إن ابنة رسول الله آخر إخراجها هذه العشية .

ولما أنصرف الناس أخذ أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه في غسلها وحنطها بفاضل حنوط رسول الله ﷺ الذي جاء به جبرائيل ، وكفنها في سبعة أثواب ، وقبل أن يعقد عليها الرداء نادى يا أم كلثوم ، يا زينب ، يا فضة ، يا حسن ، يا حسين هلموا وتزودوا من أمكم الزهراء ، فهذا الفراق ، واللقاء في الجنة .

يقول أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : أشهد أنها حنّت وأتّت ومدّت يديها وضمتهما إلى صدرها ملياً ، وإذا بهاتف من السماء ينادي

: يا أبا الحسن أرفعهما عنها ، فلقد أبكيا والله ملائكة السماء ، فرفعهما عنها وعقد الرداء عليها .

ثم صلى عليها مع الخلف من أصحاب النبي ﷺ ثم شيعت ودُفنت سراً بعد ما مضى شطر من الليل ، ثم حوّل أمير المؤمنين وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ ثم قال السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك من إبتك ، وزائرتك والباينة في الثرى ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي ، إلا أن في التأسّي لي بسنتك في فرقتك ، موضع تعزّ ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نحري وصدري .

بلى وفي كتاب الله أنعم القبول ، إنا لله وإنا إليه راجعون قد أسترجعت الوديعة وأخذت الرهينة ، وأُخِلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله .
أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهّد ، وهمّ لا يبرح من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم .
وستنبؤك أبنتك بتظافر أمّتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها ،

لم تجد إلى بته سبيلا ، وستقول ويحكم الله وهو خير
الحاكمين .

والسلام عليكما سلام مودع ، لا قال ولا سئم ، فإن
أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله
الصابرين .

فبعين الله تدفن أبنتك سراً ، وتهضم حقها ، ويمنع
إرثها ؟! ولم يتباعد العهد ، ولم يخلق منك الذكر ، وإلى الله
يا رسول الله المشتك ، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء ، صلى
الله عليك ، وعليها السلام والرضوان .

وهكذا انطوت صفحة ناصعة مشرقة من تاريخ الإسلام وسيرة
المعصومين عليهم السلام .

فالسalam عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث .